أثر العرب فى نشر الإسلام فى منطقتى قزوين والقوقاز
فى عهدى الراشدين والأمويين
(٢٠-١٢٣ هـ / ٦٤٠ - ٧٣٩ م)

دكتور
ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم
مدرس التاريخ الإسلامى
كلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادى

«أثر العرب فى نشر الإسلام فى منطقتى قزوين والقوقاز فى عهدى الراشدين والأمويين (٢٠ - ١٢٣ هـ - ٦٤٠ - ٧٣٩ م)»

تمهيد :

تعد منطقتا قزوين والقوقاز من أعظم البقاع التى مد العرب المسلمون أنظارهم نحوها، وذلك لنشر الدين الإسلامى الحنيف بين أهلها ، وإحكام سيطرتهم على المدن التابعة لهاتين المنطقتين ، حتى يؤمنوا المدن والبلدان الإسلامية المتاخمة لهما ؛ وبالتالى لكى يتسنى للمسلمين لعبور وراء هذه المناطق فى شمال قزوين والقوقاز لنشر تعاليم الإسلام ؛ بالإضافة إلى أن العرب كانت لديهم الرغبة الجارفة فى هدم المجتمعات القديمة بعقائدها الوثنية ، ونقلها نحو التقدم الحضارى الإسلامى ؛ ليس فى نشر الإسلام فقط ، وإنما فى كافة نواحى الحياة العامة .

وعندما رأى أهل المشرق أن العرب المسلمين أصحاب رسالة إنسانية دخلوا فى دين الإسلام ؛ وأندمجوا مع العرب فتعلموا اللغة العربية وتثقفوا فيها ، حتى أنهم تسموا بأسماء عربية وإسلامية ، وبرعوا فى تطور الفكر والثقافة الإسلامية ؛ ولعبوا دوراً هاماً فى سبيل رقى الحضارة الإسلامية ، كما ظهر منهم العلماء فى الفكر الإسلامى والذين ساهموا بنصيب وافر منذ انتشار الإسلام فى القرن الأول الهجرى وطوال فترات التاريخ الإسلامى ؛ وامتلأت بهم المؤلفات وأظهرت دورهم فى مختلف العلوم الدينية والدنيوية مساهمين فى بناء الحضارة الإسلامية .

وتقع مدن منطقة قزوين بجوار بحر قزوين وعلى سواحله ؛ ويحد هذه المنطقة من الجنوب هضبة إيران وإقليم الجبال ، ومن الشمال أذربيجان ، ومن الغرب منطقة القوقاز (جبال القوقاز) ، ومن الشرق بحر قزوين - بحر الجزر - وأهم هذه المدن مدينة قزوين - التى سميت المنطقة بأسمها والبحر المجاور لها ، قوهستان ، ودهستان ، وجيلان ، ومعظم بلدان طبرستان ، وذنجان ، والناقران ، ودستبتى ، ومعظم هذه المناطق جبلية ،

وكان يحكمهم الترك والعجم قبيل قدوم العرب ؛ وهذه مدن بحر قزوين من ناحية الغرب؛ وعندما استولى المسلمون عليها سرعان ما إستولوا على مدن قزوين الشرقية ؛ ومثلت هذه المدن مراكز إسلامية للأنطلاق نحو المناطق المجاورة فى آسيا الوسطى .

أما عن منطقة القوقاز فهى نسبة إلى جبال القوقاز المجاورة لمنطقة قزوين والتى تحيط بها من الشرق ، ومن الغرب البحر الأسود (بنطش) ؛ ومن الشمال بلدان نهر الفولجا واللان؛ ومن الجنوب أذربيجان وأرمينيا ؛ وهى الآن تشمل جمهوريتى أذربيجان الاتحادية، وأقاليم إسلامية ذات استقلال ذاتى فى جمهوريتى أرمينيا وجورجيا ، وهى تابعة لروسيا الاتحادية (الاتحاد السوفيتى سابقاً)[1] وأهم بلدان ومدن منطقة القوقاز خلال القرن الأول الهجرى بلنجر وبرذعة ، وتفليس ، وباب الأبواب درنبد) ، وورثان وغيرها .

وكان يسكن هذه المناطق القوقازية أقوام من الترك الغربيين ، ومثلوا حداً فاصلاً بين الأمم المتصارعة منذ القدم مثل الفرس والخزر ، والبيزنطيين والخزر من جانب آخر ؛ كما مثلت هذه الجبال عائقاً طبيعياً أمام العرب المسلمين المنطلقين بسرعة لنشر الإسلام فى هذه المناطق ؛ حتى خاض المسلمون أعنف المعارك الضارية مع أهالى مدن القوقاز من الترك والخزر ، ولم تمنعم هذه المرتفعات من أداء دورهم الحضارى والإنسانى ؛ حتى استطاع المسلمون الاستيلاء على معظم هذه المناطق خلال القرن الأولى الهجرى ؛ وكانت بمثابة جذور إسلامية لإمتداد الإسلام فى آسيا الوسطى خلال العصور الإسلامية التى تلت القرن الأول الهجرى .

وظهر أثر ودور المسلمين فى هذه المناطق جلياً ، وكونوا أكثر مدن إسلامية ، خرج منها الدعاة والمجاهدون فى شمال بحر قزوين وشمال جبال القوقاز ، حتى نشروا الإسلام فى مناطق داغستان والشاش (الشيشان) والانجوش ؛ وبنوا فيها المساجد التى مثلت مراكز أشعاع لتعاليم الإسلام بين الأهالى منذ القرون الأولى للهجرة ؛ والتى مازالت مراكز أشعاع إسلامى فى بلدان المشرق إلى يومنا هذا .

أولاً: دور العرب المسلمين فى نشر الإسلام فى منطقة قزوين :

كانت منطقة قزوين قبيل قدوم العرب إليها إحدى المناطق التابعة للفرس (الدولة

(١) محمد طه أبو العلا : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى (سابقاً) ص ٨ .
وباتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ص ٢٦ .

الساسانية) ، واتخذ الفرس حاضرة هذه المنطقة مدينة قزوين لكى تكون نقطة دفاع ضد هجمات الديلم المجاورين لها ؛ وكان حاكمها يسمى بالمرزبان ؛ وديانة أهلها المجوسية (عبدة النار)[١] ، وكان الفرس يخرجون منها لمهاجمة النواحى المجاورة لها ؛ وأطلق عليها الفرس اسم (كشوين) أى - الحد الفاصل لنهاية حدود نفوذهم من ناحية بلدان المشرق المحيطة بحر قزوين[٢] .

بعد أن تم للمسلمين فتح نهاوند سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وجهوا أنظارهم نحو مدينة قزوين ، فتقدم القائد العربى والصحابى الجليل عروة بن زيد الخيل الطائى على رأس حملة عسكرية نحو مدينة الرى وفتحها[٣] ؛ وانتصر على حاكمها المسمى (الفرخان ابن الزبنبدى) ، وأيضاً كان يسمى بعارين ؛ وعقدوا صلحاً معاً ، على أن أهل الرى أهل ذمة يؤدون الخراج والجزية للمسلمين ، فى نظير عدم الاعتداء عليهم وعلى معابدهم[٤] ؛ وأيضاً شمل هذا الصلح قسماً من مدينة دستبتى المجاورة (وهو القسم الأول من دستبتى والمسمى القسم الرازى نسبة لمدنية الرى)[٥] .

وفى سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م تقدم القائد العربى نعيم بن مقرن نحو مدينة دستبتى ، حيث القسم الثانى من المدينة والتابع لمدينة همدان والمسمى بالقسم الهمدانى ، واستولى عليه ، وأصبحت مدينة دستبتى تابعة للمسلمين ؛ فضموها إلى مدينة قزوين بعد ذلك ؛ ووافق أهالى هذا القسم على الصلح مع السلمين على أنهم أهل ذمة يؤدون الخراج والجزية للمسلمين مثل القسم الأول من المدينة ؛ ولكن المسلمين فرضوا سيطرتهم على المدينة لتكون أنطلاق لفتح المدن التى تجاورها من الشرق[٦] .

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٤ ص ٧٧ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣١٧ .

وحسن أحمد محمود : الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ١٥ - ١٦ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١١٨ . (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٥) مدينة دستبتى : كورة كبيرة تقع بين الرى وهمدان من بلدان المشرق الإسلامى ، والقسم الأول منها يسمى القسم الرازى وهو يقارب تسعين قرية ؛ والقسم الآخر يسمى دستبتى همدان وهو عدة قرى، وكانت تضاف إلى مدينة قزوين فى بعض الأحيان . . . أنظر (ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٥٤) .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٥٠ - ١٥١ .

وإبراهيم العدوى : تاريخ العالم الإسلامى جـ ١ ص ١٣٩ .

ونستنتج من موافقة المسلمين على معاملة أهالى دستبتى والرى على أنهما أهل ذمة برغم أنهم مجوس من عباد النار وهى الديانة المنتشرة فى بلاد فارس فى ذلك الوقت ؛ حتى تصبح هذه المدن مراكز وثغور إسلامية وعسكرية تسهل لهم فتح المدن التالية لهما ؛ وبالفعل أقام العرب المسلمون حصونهم فى مدينة دستبتى ؛ وبالتالى أقام من المسلمين بالمدينة جماعة من أهل الكوفة على رأسهم : عصمة بن عبد الله الصنبى ، ومهلهل بن زيد الطائى ، وسماك بن عبيد العيسى ، وسماك بن خدشة الانصارى ، والقائد نعيم بن مقرن ، وسماك بن مخرمة الأسدى ؛ ونجد هذه الشخصيات تنتمى إلى قبائل العرب بالحجاز ثم انتقلوا إلى الكوفة ومنها إلى منطقة دستبتى التابعة لمدينة قزوين[١] .

وعندما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا الفتح العظيم ؛ أمر بمواصلة هذه الفتوحات وأمر القائد نعيم بن مقرن أن يرسل أخاه القائد سويد بن مقرن نحو مدينة قومس[٢] ؛ وتم ذلك بالفعل وفتح القائد سويد قومس ، وصارت تابعة للمسلمين ويعطى أهلها الخراج والجزية للمسلمين[٣] ؛ وسرعان ما بدأ المسلمون ينشرون دعوتهم الإسلامية السمحة ، فبنى القائد العربى سماك بن مخزمة مسجداً عرف بمسجد سماك بدستبتى ، وكانت تقام فيه الصلوات باستمرار[٤] ؛ ومع مرور الزمن استطاع العرب نشر الإسلام فى القرى المحيطة لدستبتى ؛ وذكر ياقوت[٥] : أن مسجد سماك كان باعظم قرى دستبتى؛ وأيضاً ذكر القزوينى[٦] : أن مسجد سماك بقرية يقال لها اسفقيان وهى كبرى قرى مدينة دستبتى .

وفى نفس عام ٢٢ هـ / ٦٤٢ م ، واصل القائد العربى نعيم بن مقرن فتوحاته فتقدم نحو مدينة همدان[٧] واستطاع فتحها وصالح أهلها ، وكان يصحبه فى هذا الفتح أخوه سويد بن مقرن ، وربعى بن عامر ، ومهلهل بن زيد ؛ وأقر عليها نعيم بن مقرن أحد

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٥١ .

(٢) قومس : وهى كورة تقع بين الرى ونيسابور ببلاد المشرق (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤١٤) .

(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٥٢ .

(٤) الطبرى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٥) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٥٤ .

(٦) التدوين بأخبار قزوين جـ ١ ورقة (٩) (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦١١٥٤ ح) .

(٧) همذان : بالقر من أمبهان ، وفتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤ هـ (ياقوت : المصدر السابق جـ ٥ ص ٤١٠ - ٤١٧) .

قادته العرب وهو يزيد بن قيس الهمدانى[١] ؛ ثم سيطر المسلمون على منطقة القافزان إحدى نواحى قزوين[٢] ؛ وسارع أهلها نحو اعتناق الإسلام ، مما أدى بأهالى دستبتى إلى الدخول فى الإسلام إسوة بأهالى القافزان ؛ وعندما شعر أهالى هذه البلدان بحسن معاملة الداخلين فى الإسلام مثل أنفسهم ، سارعوا وأعلنوا دخولهم فى الدين الإسلامى ، حيث أعلن سكان همدان إسلامهم وبالمثل أهالى مدينة الرى أعلنوا إسلامهم وطاعتهم للمسلمين[٣] .

ومد المسلمون بصرهم نحو مدينة قزوين عاصمة المنطقة وأهم حصون الفرس ضد الديلم ؛ ولذلك الغرض بجانب نشر الإسلام أراد العرب الاستيلاء عليها ، وأيضاً لتكون نقطة أو مركز إشعاع إسلامى فى منطقة بحر قزوين كلها[٤] ؛ واندفع القائد العربى البراء بن عازب على رأس حملة عسكرية إسلامية وتمكن من الاستيلاء على مدينة أبهر بعد قتال شديد مع أهلها ؛ وصالحهم على أن يدفعوا الجزية والخراج للمسلمين ، والجدير بالذكر أن هذه المدينة سرعان ما دخل أهلها الدين الإسلامى[٥] ؛ حتى ظهر منها خلال القرون الأولى للهجرة علماء فى شتى العلوم الإسلامية منه : أبو بكر محمد ابن عبد الله بن محمد بن صالح المالكى ، وأبو بكر محمد بن طاهر أشهر مشايخ الصوفية ، وسعيد بن جابر ، وعبد الواحد محمد بن خلف الأبهرى ، وكثير من العلماء المسلمين الذين ينسبون إلي مدينة أبهر خلال فترات التاريخ الإسلامى[٦] .

وأعد القائد العربى البراء بن عازب عدته للهجوم على قزوين ؛ وقد تجهز أهالى قزوين بآلات الحرب والعسكر للقاء المسلمين ، بل طلبوا من أهالى الديلم المساعدات ضد المسلمين ؛ فرفض أهالى الديلم مساعدتهم خوفاً من المسلمين[٧] ؛ لأن الديالمة كانوا

(١) الطبرى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٤٦ .

(٢) ياقوت : المصدر الساق جـ ٤ ص ٢٩٨ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣١٤ .

(٤) البلاذرى : نفس المصدر ص ٣١٧ .

(٥) مدينة أبهر : مدينة مشهورة بين قزوين ودنجان من نواحى الجبل وفتحها الصحابى البراء بن عاذب وكان معه القائد حنظلة بن زيد الخيل الطائى سنة ٢٣ هـ و ٢٤ هـ . (ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٨٣) .

(٦) ياقوت : نفس المصدر والصفحة .

(٧) القزوينى : التدوين بأخبار قزوين جـ ١ ص ١٠ . والسيوطى : طبقات المفسرين ص ٦٠

يعلمون أن دورهم مع المسلمين بعد انتهائهم من الاستيلاء على قزوين ؛ ودار قتال عنيف بين المسلمين وأهالى قزوين على أسوار المدينة ؛ وظل المسلمون محاصرين قزوين ، حتى أرسلوا لهم وخيروهم بين الإسلام أو الخراج والجزية ، فرفض أهالى قزوين العرض كله[١] ؛ وبعد فترة من الحصار ؛ نرى أهالى قزوين يدخلون فى الإسلام مباشرة ويعلنون إسلامهم ، ورفضوا الخراج والجزية ؛ وهذا يدل على بعد فكر أهالى قزوين وتقدم فكرهم[٢] .

وأشار المؤرخ ابن الأثير : أن أهالى قزوين طلبوا الصلح على الخراج والجزية ، مثل مدينة أبهر السابقة لهم ، ولكن الرافعى القزوينى ذكر أنهم أعلنوا الإسلام مباشرة ، واتفق مع البلاذرى فى ذلك[٣] ؛ ولكن أسباب هذا التضارب بين أقوال المؤرخين إنه عندما خرج المسلمون من المدينة بعد أعلان إسلامها ؛ رفض بعض أهالى قزوين الإسلام وأعلنوا إرتدادهم ، فرجع المسلمون على الفور ودخلوا المدينة مرة أخرى ، وسرعان ما أعلنوا دخولهم فى الإسلام بشكل نهائى[٤] ؛ ويرجع ردة أهالى قزوين عن الإسلام ، أنهم كانوا مجوس ويهود واشتهروا بالمراوغة طوال فترات التاريخ ؛ وسارع الجانب المجوسى من السكان بالدخول فى الإسلام قبل الجانب اليهود الذى أعلن إسلامه بعدهم مباشرة[٥] ؛ وبنى المسلمون بمدينة قزوين كثيراً من المساجد ، وأقامة أعداد كبيرة من العرب المسلمين بقزوين علموا أهلها تعاليم الإسلام بعد فتحها مباشرة[٦] .

وذكر بعض المؤرخين[٧] أن أهالى قزوين دخلوا الإسلام مثل ما دخل أساورة البصرة فى الإسلام - وهم من الفرس وأسلموا وحالفوا قبيلة تميم العربية بالبصرة - ووافق الخليفة عمر بن الخطاب على ذلك ؛ ونزل بعض أهالى قزوين مدينة الكوفة وحالفوا قبيلة

(١) ابن الفقيه : البلدالن ص ٢٨١ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ ١ ص ٤٢٥ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣١٨ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٥) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٦٣٦ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٤٣ . ومن أهل مدينة قزوين العالم شهاب الدين القزوينى الصوفى ، وكان من أهم علماء الصوفية ، ومات بمصر . (المقريزى : المقفى الكبير جـ ١ ص ٣١٧).

(٧) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣١٧ - ٣١٨ .

بنى زهرة العربية فأطلق عليهم حمراء الديلم ؛ أما الجزء الأكبر من السكان بقزوين فدخلوا الإسلام وهم بقزوين ؛ وصارت أرضهم عشرية ، كـما نظم العرب أحوال الإدارة العربية بمدينة قزوين ؛ ووزع طليحة بن خويلد الأسدى خمـسمائة رجل من المسلمين على مدينتى دستبتى وقزوين حيـث أقاموا بين أهالى المدينتين ونشروا الإسلام فيـهم ؛ وظلت أحفادهم إلى زمن المؤرخ ابن الفقيه (ت ٣٨٢ هـ) بالمدينتين[١] .

وذكر المؤرخ الرافعى الـقزوينى : « أن أهل قزوين من العرب » ، ونـرجح أن اللغة العربية انتـشرت بمدينة قزوين بجانب الإسلام مـن أثر استيطان عدد كبير من أبـناء القبائل العربية بمنطقة قزوين منذ أن أستولى عليها العرب سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م ، أضف إلى ذلك بناء عدد كبير من المـساجد التى حفلت بها قزوين ، الأمر الذى أدى إلـى ظهور عدد كبير من علماء المسلمين الذين ينسبون إلى قزوين فى مختلف الميادين العلمية والدينية وجميعهم من المسلمين[٢] .

وفى عهد خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٣ - ٦٥٥ م) ، قام الصـحابى الجليل سـعيد بن العاصى بـفتح بلاد طبرسـتان سنة ٢٩ هـ / ٦٤٨ م[٣] . ويقال أن الحسن والحسين إبنا على بن أبى طالب اشتركا فى هذه الحملة مع القائد سعيد بن العاصى الذى اسـتولى على طبرستـان ؛ ثم عهد للمقاتـلين من أهل الكوفة بفـتح الديلم فاستولوا عليها ؛ وعقد سعيد صلـحاً مع أهالى طبرستان على أن يؤدوا الجزية والخراج ؛ ولكن بعد فترة زمنية قليلة نجد أهالى طبرستان والديلم يدخلون فى الإسلام ؛ ولكن أهالى طبرستان والديلم إرتدوا عن الإسلام خلال الفتنة التى دبت بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، وتوقفت الفتوحات الإسلامية سنين عدة[٤] .

ولما استتبت الأمور للخليفة معاوية بن أبى سفيان (٤١ هـ/ ٦٠ هـ - ٦٦١/ ٦٨٠ م)، أرسل إلى طبرستان القائـد العربى مصقلة بن هبيرة وكان معه حوالـى عشرين ألف مقاتل

(١) البلدان ص ٢٨١ .

(٢) ياقوت : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٤٣ .

(٣) جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ص ٤٠-٤١ .

(٤) طبرستان : عرفت باسـم ماذندران ، وهى بين الـرى وقومس وبلاد الديـلم ، ويقال أنهـا دخلت الإسلام زمن الدولة الأموية ؛ ويقال أنها دخلت الإسـلام زمن أبو جعفر المنصور . أنظر (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٣-١٦) .

من المسلمين ؛ فإستدرجهم أهالى طبرستان بين الجبال والمغاوز وقضوا على هذه الحملة نهائيا، وصار يضرب سهم المثل فيقال للأمر المستحيل «حتى يرجع مصقلة من طبرستان» ، وتكررت هذه المأساة فى طبرستان عندما ذهب إليهم القائد محمد بن الأشعث فإستدرجوه وهزموه وقتلوا إبنه ؛ ولكن فى سنة ٨٦ هـ / ٦٩٠ م داهمهم القائد يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، واستولى على طبرستان وجيلان ، ودخلوا فى الصلح مع المسلمين نهائياً ؛ ونجد أن أهالى هذه المدن صاروا مسلمين وساهموا فى الحضارة الإسلامية ؛ واشتهر كثير من العلماء من أهالى طبرستان فى الأدب والفقه الإسلامى ، لدرجة أن ياقوت ذكر : أن أهل العلم والأدب بها لا تعد ولا تحصى فى مختلف علوم الإسلام[١] .

ونأتى إلى ناحية من نواحى قزوين وهى الديلم ، والتى واصل المسلمون جهودهم الحربية نحوها ، ففى عهد الخليفة على بن أبى طالب (٣٥ هـ/ ٤٠ هـ - ٦٥٤/٦٥٩ م) ، أرسل القائد الربيع بن خيثم الثورى على رأس أربعة آلاف جندى ؛ فأقاموا مدة فى قزوين وبنى القائد الربيع مسجداً بقزوين خلال فترة إعداده لهذه الحملة فى سنة ٣٧ هـ / ٦٥٦ م[٢] ؛ واستطاع هذا القائد فتح بلاد الديلم ؛ ونجد انتشار عدد كبير من المساجد بهذه المناطق والتى عرفت بأسماء عديدة ، فشيد القائد محمد بن الحجاج الثقفى مسجداً فى مدينة قزوين سنة ٨١ هـ / ٦٩٨ م ، وعرف المسجد باسم التوت أو الثور[٣] . وهذه المساجد لعبت دوراً فى نشر تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

وقد ظهر على مسرح الحياة العلمية كثير من علماء قزوين مثل أبو يعلى القزوينى راوى الحديث ، ومحمد بن يزيد بن ماجه القزوينى صاحب كتاب السنن ، وروى عنه كثير من علماء دمشق والعراق ومصر[٤] ، ويعتبر هذا تأثيراً إسلامياً فى أهالى منطقة قزوين ودوراً بارزاً للمسلمين فيها[٥] ؛ وظهرت مساجد كثيرة بالمدينة منها مسجد أصحاب أبى حنيفة ، ومسجد شالكان ، ومسجد شهر ستالك ، ومسجد دهك ، ومسجد باب المشبك الملاصق لسور قزوين ؛ وقيل أن هذه المساجد تأتى إليها الأبدال[٦] ، وهم جماعة من

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣٥ .
(٢) البلاذرى : المصدر نفسه ص ٣١٨ .
(٣) ياقوت : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٤٤ .
(٤) نفس المصدر والصفحة .
(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣١٨ .
(٦) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٣٥ .

الصالحين الـذين انتشروا فى بـلدان المشرق الإسلامى لـنشر الإسلام والتقـوى والورع بين الناس ، وإذا مـات أحدهم بدل الـله تعالـى مكانه بـآخر ؛ وكل ذلك مـن تأثير الـعرب المسلمين فى هذه المناطق ، منذ إسلامها بداية من القرن الأول الهجرى .

بالإضافة إلى ذلك ظهـرت باحدى نواحى قزوين ناحية أطلق عليـها البشاريات وكان أهلها من الحنيـفية والذين دأبوا على بناء المساجد ونـشر تعاليم الإسلام[١] ؛ ولكثرة تدفق العرب هناك فـاعتنق كثير من أهـالى منطقة قزوين المـذهب الشافعى ؛ كما ظـهرت فرقة شيعية بناحـية الزهراء بقزوين[٢] . وإمتد انـتشار الإسلام فـى معظم مـناطق بحـر قزوين الشرقية والغربية مثل منطقة جرجان وموتان وشروان وغيرها[٣] .

أما عن ناحية قوهستان[٤] فمنذ عهد الخـليفة عمر بن الخطاب رضى الـله عنه وغزاها العرب واستولوا علـى كرمان ، وناحية طبس وكرين وحدث صلح مـع أهالى هذه البلدان أطلق عليه صلح (طبسين)[٥] ؛ وفتحت قوهستان واستولى عـليها العرب تماماً فى سنة ٢٩ هـ / ٦٥١ م ؛ وضمـت إلى منطقة خراسـان فى سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م[٦] ؛ وكان أهلها يتمردون على المسلمـين فى عهد الدولة الأموية لدرجة أنهم حاولوا القائـد قتيبة بن مسلم الباهلى[٧] ، ثم غزاها يزيد بن المهلب وصالحهم ، ودخلـوا فى طاعة المسلمين نهائياً خلال عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك[٨] .

وبفتح منطقة قزوين تطلع العرب المسلمون إلى المزيد من بسط نفوذهم ونشر الإسلام إلى أقصى ما يمكن من بقاع ، فاستولوا علـى جبال البرزان ودهسْتان وبكر أباد ؛ ومنطقة جرجان وجبالها[٩] ؛ وكان يسكن فى دهستان قوم من الترك والفرس ، فكان حاكم الفرس

(١) القزوينى : التدوين بأخبار قزوين ص ٩ . (٢) نفس المصدر ص ١١ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٣٩١ .

وبطرشوفسكى : الإسلام فى إيران ص ٧٦ .

(٤) قوهستان : تعنى موضع الجبال ، وتقع بين هراة ونيسابور (ياقوت : معجم جـ ٤ ص ٤١٦) .

(٥) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ٢ ص ٢٥١ .

(٦) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ١٤٧ .

(٧) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣١ .

(٨) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٥٢ .

والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية جـ ٢ ص ٣٥٥ .

(٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٥١ .

يسمى مرذبان ، وحاكم الترك يسمى صول[١] ؛ حدث نزاع حينئذ بين الحاكمين وانتصر الحاكم التركى وطرد الفارسى الذى التجأ بدوره إلى المسلمين فى خراسان[٢] ، فغزاها القائد يزيد بن المهلب ، وقبض على الحاكم التركى (صول)[٣] ؛ ولكنهم ثاروا ضد العرب فرجع إليهم يزيد مرة أخرى وفتحها وأحكم سيطرته عليها ، وسحر ذلك بالفتح الثانى[٤] ؛ وقد بنى القائد يزيد بن المهلب مدينة جرجان فى سهل فسيح يطل على البحر والجبال وأصبحت من أعظم مدن بحر قزوين منذ الدولة الأموية[٥] .

وينسب إلى مدينة جرجان كثير من الأئمة والعلماء منهم أبو نعيم عن الملك بن محمد بن عدى الجرجانى الفقيه ، له تصانيف فى الفقه وكتاب الضعفاء فى عشرة أجزاء ؛ والعالم عبد الملك بن محمد بن زيد الجرجانى عالم الحديث والفقه ؛ ومنها العالم أبو أحمد عبد الله بن عدى المبارك الجرجانى المعروف بابن القطان ؛ وإبراهيم بن هشام أبو القاسم السهمى الجرجانى من علماء الحديث ؛ وأبو عامر بن إسماعيل الجرجانى عالم الأدب ؛ وأبو إبراهيم بن الحسن العلوى الجرجانى عالم الطب[٦] ؛ وهنا نجد أن العرب الذين أقاموا بجرجان كانوا ينسبون إلى قبائلهم العربية ثم إلى بلدهم ؛ بعدما استقروا واستوطنوا فيها .

ثانياً : دور العرب المسلمين فى نشر الإسلام فى القوقاز :

كانت سياسة العرب ترمى إلى الفتوحات فى كافة الأرجاء شرقاً وغرباً وفى وقت واحد ، وذلك للعمل على نشر الإسلام فى هذه المناطق والتى يمكن للعرب الاستحواذ عليها ؛ ففى أثناء فتوحات منطقة قزوين السالفة الذكر ، مدوا أبصارهم إلى منطقة جبال القوقاز التى تتخام منطقة قزوين من ناحية الغرب ؛ وفى نفس الوقت يتسنى لهم فتح طريق للدين الإسلامى نحو وسط آسيا ؛ فمنذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣٦ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٣٦ .
(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٤٠٤ .
(٥) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١١٩ .
(٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٣٦٠ .

هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤) وبالتحديد سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م ، أرسلت الخلافة حملة عسكرية توغلت فى جنوب جبال القوقاز ، وكان قائدها بكير بن عبد الله الليثى[١] ، واستطاع أن يصل إلى مدينة دربند[٢] ، واستولى على العديد من القرى والحصون بجبال القوقاز ؛ ولكنه صالح أهالى مدينة دربند على أن يدفعوا أموالاً للمسلمين[٣] ؛ وكانت هذه المدينة من أهم مدن هذه المنطقة ومن أعظم حواضر قزوين والقوقاز على السواء ؛ وكانت تجاور بلاد الخزر .

وظهر الأمر جلياً ومحتماً إلى ضرورة إصطدام العرب والخزر حول السيطرة على مدن جبال القوقاز ؛ ومثلت هذه الجبال عائقاً طبيعياً أمام المسلمين فى خلال القرن الأول الهجرى ، وذلك مثل حاجز جبال البرانس التى مثلت حاجزاً بين المسلمين والفرنجة فى بلاد الأندلس ، وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب حملة عسكرية على رأسها القائد عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى نحو القوقاز ؛ ثم حملة أخرى بقيادة سراقة بن عمرو ، وكل منهما دخل الجبال من طريق مختلف عن الآخر ؛ بالإضافة إلى إرسال جيش ثالث تحت قيادة بكير بن ماهان ؛ والتقت هذه الجيوش الثلاثة حول مدينة درنبد (باب الأبواب) ، وانضم جيش بكير إلى جيش سراقة بن عمرو عند المدينة[٤] .

وفى سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م ، بدأ القائد العام للقوات العربية الرسلامية وهو سراقة ابن عمرو فى تنظيم صفوفه للهجوم على مدينة دربند[٥] ؛ وجعل على مقدمته القائد عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يسمى كل من سراقة وعبد الرحمن بلقب ذى النور ، وعلى الميمنة حذيفة بن سعيد الغفارى ، وعلى الميسرة بكير بن عبد الله الليثى ، وفى الوسط سلمان بن ربيعة الباهلى ؛ وحاصروا مدينة الباب[٦] ؛ ولما رأى حاكمها الفارسى (شاه براز) قوة الجيش الإسلامى ، طلب مقابلة القائد عبد الرحمن بن ربيعة ، وتمت المقابلة

(١) الطبرى : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٢) مدينة دربند : وهى باب الأبواب ، وتقع على بحر الخزر ، واستشهد بهما سلمان بن ربيعة الباهلى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . (ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠٥) .

(٣) دنلوب : تاريخ يهود الخزر ص ٧٨ ، والسيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ص ٢٩١ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٢ ص ٤-٥ .

(٥) ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ص ١٦٩-١٧٢ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٣٥ ، وزبيدة عطا : الترك فى العصور الوسطى ص ١٣ . و Ostrogorski : History of the Byzantine State. p. 111.

بينهما ؛ ونتج عنها دخول المدينة تحت طاعة المسلمين ، وتعهد شاه براز بعدم مساعدة أى قوم ضد العرب ؛ وأبلغ عبد الرحمن بن ربيعة قائده سراقة بن عمرو ، والذى أخطر بذلك الخليفة عمر بن الخطاب ، والذى وافق بدوره على هذا الصلح ، وبعد قليل أعلن أهالى دربند دخولهم فى صفوف المسلمين ، ولذلك أعفوهم من الجزية المقررة عليهم[١] .

ودخل القائد العربى سراقة بن عمرو دربند (باب الأبواب) ، وأخبر الخليفة عمر بن الخطاب بذلك فسر سروراً عظيماً ؛ ومن دربند وجه القائد سراقة عدة حملات لتوسيع رقعة الإسلام بأرجاء القوقاز[٢] ؛ وفى هذه الأثناء مات القائد سراقة بن عمرو ، وحل مكانه القائد عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ، والذى واصل استعداده للجهاد من أجل مزيد من الفتوحات بالقوقاز[٣] ؛ ففى سنة ٢٣ هـ / ٦٤٢ م ، خرج القائد عبد الرحمن بن ربيعة على رأس حملة عسكرية وتنفيذاً لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب ، وذلك للهجوم على مدينة يلنجر[٤] ، فاستولى على مدينة البيضاء[٥] ، وحاصر مدينة يلنجر ولكن دون قتال[٦] ؛ وتعتبر أهم مدن القوقاز قاطبة فى ذلك الوقت[٧] ، وكان الخزر يتخذونها عاصمة لهم[٨] ؛ وكان أهالى القوقاز يعتقدون أن الملائكة تقاتل فى صفوف المسلمين ، وأن المسلمين إذا قتلوا ، فإنهم يحيون على الفور ، ثم يعيشون حياة أبدية[٩] ؛ رجعت هذه الحملة محملة بالغنائم ؛ وهنا توقفت تيارات الفتوحات عندما توفى عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤ م ، ثم تولى الخليفة عثمان بن عفان الخلافة (٢٣-٣٥ هـ - ٦٤٤ - ٦٥٦ م) ، والذى سارع نحو تكملة مسيرة الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً .

وفى سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م تقدم القائد العربى عبد الرحمن بن ربيعة نحو مدينة بلنجر، وأرسل الخزر الأمدادات للمدينة استعداداً للمسلمين ؛ وحاصر المسلمون المدينة ،

(١) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ١٩ ص ٢٦٨ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠٣ - ٣٠٦ .

(٣) ابن حجر : الإصابة فى معرفة الصحابة جـ ٢ ص ١٣٤ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٣٠ .

(٥) مدينة البيضاء تقع بالقرب من بلنجر وراء مدينة دربند (ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٥٣٠) .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٥٨ .

(٧) المسعودى : التنبيه والأشراف ص ٦٣ .

(٨) دنلوب : تاريخ يهود الخزر ص ٩٢ .

(٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٣٦ .

ودار قتال عنيف حولها استخدم فيه الفريقان المنجنيق والعرادات وكافة أنواع الأسلحة المستعملة فى ذلك الوقت ؛ وحدثت مقاومة شديدة من أهالى يلنجر والخزر معاً ضد المسلمين ، وسقط القائد العربى عبد الرحمن بن ربيعة شهيداً فى المعركة[١] ؛ وإنسحبت جيوش المسلمين من المعركة وانقسمت فرقتين ، فرقة اتجهت نحو درنبد والتقت بالقائد العربى سلمان بن ربيعة ، الذى أرسله القائد سعيد بن العاصى على رأس حملة عسكرية لنجدة أخيه عبد الرحمن ولكن قد فات الأوان[٢] ؛ أما الفرقة الأخرى من الجيش المهزوم اتجهت نحو جيلان[٣] ؛ وقتل فى هذه المعركة أربعة آلاف مسلم ؛ وكان عدد جيش بلنجر من الأهالى والخزر أكثر من ثلثمائة ألف مقاتل ؛ وعدد جيش المسلمين حوالى عشرة آلاف مقاتل[٤] ؛ وقال الشاعر العربى ابن حجانة عن هذه المعركة :

وإن لنا قبرين قبر يلنجر ... وقبر بصين أسنان يالك من قبر

فذاك الذى بالصين عمت فتوحه ... وهذا الذى يسقى من سبل القطر[٥]

وبعد هزيمة العرب فى يليخر ، واصل الجهاد سلمان ن ربيعة الباهلى ؛ وغضب الخليفة عثمان بن عفان لنبأ هذه الهزيمة ؛ وعلى الفور أرسل مدداً عسكرياً كبيراً على رأسه القائد حبيب بن مسلمة ؛ وترجع أسباب هزيمة العرب أمام لنجر أن القائد عبد الرحمن بن ربيعة الشهيد لم يصبر حتى تأتيه الإمدادات من الخليفة[٦] ؛ وعلم الخزر أن المسلمين قادمون ، فنقلوا عاصمتهم إلى مدينة آتل بدلاً من سمندر ، فى أقصى شمال شرق القوقاز[٧] ؛ وذلك ليكونوا أبعد ما يكون عن المسلمين ؛ وأطلق المؤرخون المحدثون على هذه الفترة من الحروب بين المسلمين والخزر فى القوقاز اسم الحرب العربية الخزرية الأولى (٢٢ - ٣٢ هـ / ٦٤٢ - ٦٥٢ م) ؛ ولم يشتبك المسلمون مع الخزر منذ تاريخ هذه المعركة

(١) الطبرى : المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٣ ص ٦٦ .

(٣) ابن اعثم الكوفى : كتاب الفتوح جـ ٢ ص ١١٣-١١٤ . وابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ١٣٩ و Kolstler : The thirthneth tribe the kazar. p. 27

(٤) ابن اعثم : كتاب الفتوح جـ ٢ ص ١١٤ . (٥) البلاذرى : المصدر السابق ص ٢٠٦ .

(٦) دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية جـ ١ ص ١٠٩ .

(٧) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ ١ ص ١٥٣ .

وابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٩٣ .

لمدة ثلاثين سنة ؛ ويرجع ذلك إلى أندلاع الفتن والقلاقل فى الدولة العربية الإسلامية، منذ وفاة الخليفة عثمان بن عفان (٣٥ هـ / ٦٥٦ م) ، حتى زمن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م)[١] .

وفى خلال هذه الفترة الهادئة ، تمركزت الجيوش العربية الإسلامية بجنوب القوقاز ، مستعدين للأوامر التى تأتى إليهم من السلطة المركزية الأموية بمدينة دمشق ؛ وبالمثل رابط الخزر فى شمال القوقاز مستعدين لهجوم المسلمين المرتقب القادم من الجنوب[٢] ؛ وعندئذ قام الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان يتولية أخيه محمد بن مروان بلاد وأرمينيا وأذربيجان ؛ فأعد محمد بن مروان حملة عسكرية قوامها عشرة آلاف مقاتل من أهل الشام ، وعهد بها إلى القائد عبيد الله بن أبى عدى ، وأمره بمحاربة الخزر ، فتقدم واشتبك معهم ولكنه أنهزم أمام الخزر ؛ وطاردوا فلول المسلمين ، بل استولوا على كثير من المدن والحصون التى كانت بأيدى المسلمين[٣] .

وعلى أثر ذلك جهز محمد بن مروان جيشاً كبيراً من المسلمين أسند قيادته إلى ابن أخيه مسلمة بن عبد الملك وأمره بالمسير نحو مدينة الباب التى استولى عليها الخزر من المسلمين ؛ وكان عدد جيش المسلمين أكثر من ثمانين ألف مقاتل ، وتقدم الجيش الإسلامى وحاصر المدينة لعدة أيام، واستطاع مسلمة أن يشتبك مع الخزر ، وانتقم منهم ؛ وترك الخزر المدينة للمسلمين وفروا هاربين للشمال ؛ وترك مسلمة بالمدينة خامية إسلامية ، ورجع محملاً بالغنائم إلى أرمينيا ، ولكن الخزر هاجموا المدينة مرة أخرى وطردوا منها المسلمين ، واستولوا عليها[٤] ؛ وأصبحت مدينة دربند سجالاً بين العرب والخزر .

وفى زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م) قام القائد العربى مسلمة بن عبد الملك عملية عسكرية نحو أذربيجان ، واستولى على معظم القلاع والحصون بالقوقاز ، حتى وصل إلى مدينة الباب (دربند) فى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٩ م[٥] .

---

(١) دنلوب : المرجع السابق ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) دنلوب : المصدر السابق ص ٨٨ .

ومحمد عبد الشافى : مملكة الخزر ص ١٠١ .

(٣) ابن اعثم : الفتوح جـ ٦ ص ٢٩٣-٢٩٤ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٩٥-٢٩٧ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٤١ .

وذكر أبو المحاسن[١] : أن مسلمة استولى على المدينة سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م ؛ ولكن مسلمة كرر هجومه على الباب سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م[٢] ؛ والواقع أن الحرب كانت سجالاً بين المسلمين والخزر ، وفى نهاية الأمر استولى مسلمة على مدينة دربند ؛ بعد أن طرد منها المقاتلين الخزر ؛ وفى سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م رجع الخزر بجيش جرار حتى وصلوا أذربيجان وأغاروا على المسلمين وقتلوا كثيراً منهم[٣] ؛ فبادر الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧١٩ م) بإرسال القائد حاتم بن النعمان لقتال الخزر بالقوقاز ، فسار إليهم واشتبك معهم وهزمهم ، وعاد بخمسين أسيراً أرسلهم إلى دمشق وتم عرضهم بها[٤] .

وحدث تعاون بين الدولة البيزنطية والخزر وذلك بسبب حصار المسلمين لمدينة القسطنطينية سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م ؛ وفى ذات الوقت كان المسلمون يهاجمون الخزر ويستولون على مدنهم بالقوقاز[٥] ؛ وبذلك أصبح البيزنطيون والخزر يواجهون عدداً مشتركاً ؛ ونجد دخول عدد كبير من القرى تحت راية الإسلام ؛ ووصول عدد من شخصيات الخزر كمسلمين وعاشوا بحواضر العالم الإسلامى ؛ ومنهم (كنداجيق الخزرى) وهو إسحاق بن كنداج الذى تولى الوزارة المصرية زمن الدولة الطولونية ؛ ومدحه الشاعر البحترى أنه حاز المجد والإعجاب بالعراق مثلما حازه بمدينتى البيضاء وبلنجر بالقوقاز[٦] .

لم يتوقف المسلمون عن الخزر بالقوقاز ، ففى عهد الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤ م) ، غزا المسلمين بلاد القوقاز بجيش كبير على رأسه القائد ثبيت النهروانى وتقابل مع جيش الخزر بأرمينيا فى معركة تسمى « مرج الحجارة » ودار قتال عنيف بين الفريقين ؛ وانتهى بهزيمة المسلمين وفقدانهم معسكرهم ، وفر الناجون

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ١ ص ٣٥٥ .

(٢) الذهبى : دول الإسلام جـ ١ ص ٦٣ .

والسيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٧ .

(٣) أذربيجان : حدها برذعة من الشرق ، وأذربيجان من الشرق ، وشمالها الديلم ، وأهم مدنها تبريز واردبيل ومرند ، (ياقوت : معجم جـ ١ ص ١٢٨-١٢٩) .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٥٥٣-٥٥٤ .

(٥) Lwies : Naval power and Trade in the Mediterenean. A.D 500-1100-2-p 66.

Nasiliev : Ahist of the Bazantine Empire -1-9 p. 236

(٦) البحترى : الديوان جـ ٢ ص ٩٧٨ .

إلى الشام ؛ وغضب الخليفة يزيد من القائد ثبيت النهروانى واتهمه بالتقصير[١] ؛ وعلى الفور انتدب الخليفة القائد الجراح بن عبد الله الحكمى والياً على أرمينيا ، وأمره بحرب الخزر ؛ فزحف الجراح نحو الخزر فى سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٣ م ؛ ونحو مدينة دربند التى كان بها المسلمون تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك ؛ وكان الخزر يحاصرونها ؛ واستولى الجراح على مدينة برذعة[٢] ، ثم عبر نهر الكر ووقف عند نهر صغير يسمى نهر روباس على بعد عدة أميال من درنبد ؛ وكان قد أسر أعداداً هائلة من الخزر ، وغنم مغانم عظيمة ، واستولى على كثير من القرى والقلاع ؛ وعسكر بجيشه عند نهر روباس[٣] .

وعلم القائد العربى الجراح بن عبد الله الحكمى أن بعض من دانوا له بالطاعة من أهل القوقاز ومنهم (أرابيس بن بسباس) ملك بلاد الكر ، كاتب ملك الخزر سراً ، يعلمه بتحركات الجيوش الإسلامية ؛ فأمر الجراح بأن ينادى فى جيشه أنه مقيم فى هذا المكان لمدة ثلاثة أيام ؛ وعندما جن الليل أمر الجراح جشه بالتحرك نحو مدينة الباب ، فأرسل أرابيس إلى ملك الخزر ذلك ؛ فوصل الجيش الإسلامى مدينة الباب ولم يجد الجيش الخزرى ؛ الذى تحرك بناء على المعلومات الخاطئة التى أمدهم بها أرابيس الخائن ، وعندئذ أحكم الجراح سيطرته على كافة أنحاء المناطق المحيطة بمدينة الباب[٤] .

ووصلت قوات خزرية كبيرة تقدر بحوالى أربعين ألفاً من المقاتلين ، وتحت قيادة بارجيك بن الخاقان ، وعند مكان يسمى (حصنين) القى القائد الجراح خطبة حماسية فى الجنود المسلمين يحثهم فيها على الاستبسال فى قتال الخزر ؛ والتقى الجيشان فى حصنين ودار قتال عنيف وفى نهايته انتصر المسملون على الخزر انتصاراً ساحقاً واستولى الجراح على حصنين (حمزين) وترغو ، وذلك سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٣ م ؛ ونقل الجراح سكان هاتين المدينتين إلى أماكن متفرقة بالقوقاز[٥] ؛ ودخلت معظم منطقة القوقاز تحت طاعة المسلمين .

---

(١) التويزى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٣٨١ . و Shaban : Islamic History, Vol. 1- p 144.

(٢) برذعة : بلدة فى أقصى أذربيجان وهى قصتها (ياقوت : معجم جـ ١ ص ٣٧٩) وراضى عبد الله : دراسات فى تاريخ خراسان ص ٥٠ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٤) دحلان : الفتوحات الإسلامية جـ ١ ص ١٧١ .

(٥) ابن فضلان : المصدر السابق ص ٢٢٦ . ودنلوب : المرجع السابق ص ١٠٢-١٠٣ .

وتوجه المسلمون بقيادة الجراح نحو مدينة يلبخر والتى كانت تحت سيطرة المسلمين ، وطردهم منها الخزر ؛ وكان قد حصنوها ، وشدوا حولها أكثر من ثلثمائة عجلة[١] (وهى عجلة حربية تجرها الثيران) ؛ والتقى الجيشان حول يلبخر فى معركة شديدة ، واستطاع المسلمون قطع الحبال التى تجر العجلات فاختلطت ببعضها ودبت الفوضى فى صفوف جيش الخزر ، وانتصر المسلمون على الخزر وهزموهم هزيمة قاسية ، وتمكن المسلمون من السيطرة على بلنجر[٢] ؛ ووزع الجراح الغنائم على المقاتلين المسلمين ، فكان نصيب الفارس ثلاثمائه دينار[٣] ، مما يدل على ثروة هذه البلاد الهائلة فى ذلك الوقت ؛ وفر حاكم بلنجر الخزرى إلى مدينة سمندر المجاورة بعد أن أسر المسلمون زوجته وابنه ، ولكن القائد الجراح بن عبد الله افتداهما بماله وأرسلهما إلى الحاكم الخزرى كمبادرة سلام بين الفريقين ؛ ولذلك عرض القائد الجراح على حاكم الجزر أن يرد حكمه إليه ويدخل الإسلام هو وشعبه ، فوافق حاكم الخزر ، ودخلت بلنجر الإسلام ، وكافة الأماكن المحيطة بها[٤] ، وامتلأت بالعرب الذين يعلمون شرائع الإسلام بين أهلها .

ونجد القائد الجراح قد واصل زحفه بجبال القوقاز نحو مدينة الباب ، والتى حصنها الخزر ، ولكنهم آثروا السلام على الحر ، ودخلوا فى صلح مع الجراح ، واتفقوا معه على أداء الخراج والجزية ، ووافق الجراح على ذلك[٥] ؛ ثم زحف نحو مدينة سمندر ولكنه توقف بسبب حلول فصل الشتاء ، وأقام معسكره فى مدينة شكى[٦] ؛ وتوفى الخليفة يزيد بن عبد الملك وحل مكانه أخوه الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م) الذى أقر الجراح بن عبد الله الحكمى على قيادته بالقوقاز ، كما وافق على أرسال الإمدادات والمساعدات له[٧] .

وفى بداية صيف عام ١٠٥ هـ / ٧٢٤م زحف القائد الجراح بن عبد الله نحو بلاد

(١) عجلة : وهى التى تحرك على عجل ويجرها الثور وجمعها عجل أو اعجال . أنظر ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٨٢٣ .

(٢) دحلان : الفتوحات الإسلامية جـ ١ ص ١٧١ .

(٣) الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٦ .

(٤) دنلوب : المرجع السابق ص ١٠٤ .

(٥) ابن الفقيه : البلدان ص ٢٨٨ .

(٦) ياقوت : معجم جـ ٣ ص ٣٥٧ .

(٧) القزوينى : تاريخ كذيدة جـ ١ ص ٢٨١ .

الخزر فى شمال القوقاز، ولكنه غير خطته واتجه نحو الشمال الغربى حيث بلاد اللان؛ واشتبك معهم وانتصر عليهم فى عدة معارك متتالية؛ وفرض الجراح عليهم الخراج والجزية؛ ودخل اللان تحت سيطرة المسلمين[١] ؛ وفى هذه الأثناء عزل الخليفة هشام القائد الجراح بن عبد الله وولى مكانه أخاه مسلمة بن عبد الملك فى سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٧م[٢] . وبذلك أصبح مسلمة والياً على أرمينيا وأذربيجان للمرة الثانية (١٠٧ - ١١١ هـ / ٧٢٦ - ٧٢٩ م) .

عين مسلمة بن عبد الملك القائد الحارث بن عمرو الطائى قائداً لقتال الخزر بالقوقاز ، وانطلق الحارث فاتحاً فى سبيل الله / واستولى عدة أماكن من الخزر ؛ وتمكن من هزيمة حملة عسكرية كانت تحت قيادة ابن خاقان الخزر ؛ وقتل منهم مقتلة عظيمة ؛ وطاردهم حتى نهر آراكسى (الرس) وكان ذلك سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٧[٣] ؛ وفى عام ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م ؛ قاد مسلمة بن عبد الملك جيشاً إسلامياً كبيراً ، واستولى على ممر داريل (ممر دربندل) الحيوى بالقوقاز ؛ وهزم حملة خزرية كانت بقيادة الخاقان نفسه (حاكم الخزر) ، الذى فر من أمام المسلمين ؛ ورجع مسلمة محملاً الغنائم والأسرى[٤] ؛ ووضع مسلمة حامية عسكرية كبيرة على هذا الممر الذى اعتبره المؤرخون من أعظم حصون الدنيا[٥] .

واستمر مسلمة بن عبد الملك مجاهداً من أجل المزيد من الفتوحات ونشر الإسلام ببلاد المشرق الإسلامى واسيا الوسطى ؛ ففى سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م اجتاز بجيشه ممر داريل ، واشتك مع الخزر عند باب اللان ؛ واشتبك مع حاكم الخزر (الخاقان) واستمرت المعرفة واعتبر المسلمون أن هذه المعركة نصراً لهم[٦] ، وذكرت بعض المراجع الأجنبية أن المسلمين هم الذين أنسحبوا من هذه المعركة[٧] .

وفى عام ١١١ هـ / ٧٢٩ م ، ظهر الخزر بكل قوة واجتاحوا منطقة أذربيجان ، فتصدى لهم القائد الحارث بن عمرو الطائى وردهم على أعقابهم ، وفى نفس العام عزل

(١) ابن كثير : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٥٩ .
(٢) الذهبى : دول الإسلام جـ ١ ص ٧٥ .
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ١٩٤ .
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥٤ .
(٥) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٣ .
(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٩٧ .
(٧) دنلوب : المرجع السابق ص ١٠٨ .

الخليفة هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك من قيادة المنطقة وولى مكانه الجراح بن عبد الله ، القائد السابق للمنطقة[١] ؛ فانطلق فى نفس العام أيضاً بجيش كبير وعبر ممر داريل وطارد الخزر حتى استولى على عاصمتهم مدينة البيضاء ؛ واستبعد المؤرخ الانجليزى دنلوب ذلك، وبرر استبعاده أن الجراح يمتلك قوة صغيرة من المقاتلين[٢] ، ولكن الخزر تركوا مدينتهم وجمعوا فلولهم واستعدوا للهجوم فجأة على المسلمين ؛ فاكتفى القائد الجراح بجمع الغنائم وترك مدينة البيضاء ورجع عنها لهم[٣] .

وكما هو متوقع جمع الخزر قواتهم فى سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م ، وزحفوا نحو ممر داريل تحت قيادة بادجيك حاكمهم ، وكان عددهم أكثر من ثلثمائة ألف مقاتل[٤] ؛ فتصدى لهم القائد الجراح بن عبدالله فى مرج أردبيل ؛ وكان حاكم جورجيا بالرغم من طاعته تحت لواء المسلمين ، كان يرسل أسرار تحركات الجيش العربى لحاكم الخزر ؛ وتقابل الجيشان فى (سهل أردبيل) فى معركة شديدة استمرت ثلاثة أيام متواصلة ، انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد القائد الجراح بن عبد الله الحكمى ، وقتل معه أولاده ونساؤه بأرض المعركة[٥] ، وقتل عدد كبير من المسلمين منهم عدد من حفظة القرآن الكريم ، وفرت فلول جيش العرب إلى أذربيجان ، واستولى الخزر على أردبيل وقتلوا كل من كان بها من المسلمين ، وأسروا النساء والأطفال ، وطاردوا المسلمين حتى قاربوا حدود الموصل[٦] .

واهتز العالم الإسلامى وخاصة دمشق عند سماع نبأ هزيمة واستشهاد القائد الهمام الجراح بن عبد الله ؛ وبسرعة اتخذ الخليفة هشام بن عبد الملك الإجراءات اللازمة حيال هذا الموقف الخطير ؛ واستولى الخزر على بلدان المسلمين عقب انتصارهم فاستولوا على أذربيجان وديار بكر وقاربوا الموصل[٧] ؛ وأطلق بعض المؤرخين على ذلك الوضع بأنها هجرة خزرية جماعية[٨] ولذلك انتدب الخليفة القائد الحجاج بن عبد الله أخو القائد الشهيد

(١) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٤٠٠ .

(٢) Glubb : The Empire of the Arubs, p. 183

(٣) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية جـ ٢ ص ١٠١ .

(٤) ابن اعثم : المصدر السابق جـ ٨ ص ٣٨- ٤٠ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ البلدان جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٦) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٣٢ .

(٧) القزوينى : تاريخ كذيدة جـ ١ ص ٢٨١ .

(٨) دنلوب : المرجع السابق ص ١١٦ .

الجراح ، وذلك لقتال الخزر ؛ كما استدعى القائد سعيد بن عمرو الجرشى على رأس ثلاثين ألف جندى من المسلمين وأمره باللحاق بالقائد الحجاج فى منطقة القوقاز[١] ؛ حتى وصل أرض الجزيرة فانضمت إليه فلول جيش الجراح ؛ وتقدم واستولى على خلاط[٢] ؛ ثم استولى على برذعة[٣] ، وفك حصار مدينة ورثان[٤] الإسلامية وطارد الخزر الذين فروا من أمامه ؛ حتى وصل إلى مدينة باجروان[٥] ، وسيطر عليها ؛ وهرب الخزريون إلى أعالى القوقاز[٦] .

وعند مدينة أردبيل[٧] ، دار قتال شديد بين العرب والخزر واستطاع القائد العربى إبراهيم بن عاصم العقيلى الانتصار على الخزر وطردهم من أردبيل ، وفك أسر خمسة آلاف أسير مسلم ، وقتل أكثر من عشرة آلاف خزرى ؛ وأصبحت مدينة أردبيل إسلامية مرة أخرى[٨] ؛ واجتمع الخزر بكاملهم مرة أخرى تحت قيادة زعيمهم بارجيك (نارستيك بن خاقان) ، وكان عددهم أكثر من مائة وتسعين ألف مقاتل على نهر البيلقان ، وكان عدد المسلمين حوالى خمسين ألف مقاتل ؛ ورأى القائد سعيد بن عمرو الجرشى أن زعيم الخزر قد وضع رأس القائد الجراح بن عبد الله - قائد المسلمين الشهيد - فوق عربته فتألم لذلك ؛ وعندما بدأت المعركة شق سعيد طريقه فى شجاعة وإقدام نحو عربة بارجيك واستطاع قتله ، وحز رأسه ، واستولى على رأس الجراح أيضاً[٩] ، وقتل الحراس المحيطين بالعربة ؛ وبعث سعيد برأس برجيك إلى الخليفة هشام بدمشق ، وأصبح مثلاً عربياً يضرب لمن ينجز عملاً خارقاً فيقال « جاء برأس خاقان »[١٠] ، ووزع القائد سعيد الغنائم على الجنود المسلمين ؛ فتسلم كل واحد ألف وسبعمائه دينار ، وتعتبر معركة أردبيل الثانية

(١) القزوينى : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٣) ياقوت : نفس المصدر جـ ١ ص ٣٧٠-٣٧١ .

(٤) مدينة ورثان : آخر حدود أذربيجان وينسب إليها كثير من أهل العلم من المسلمين (ياقوت : معجم جـ ٥ ص ٣٧٠ - ٣٧١) .

(٥) مدينة باجراون : من نواحى باب الأبواب (نفس المصدر جـ ١ ص ٣١٢) .

(٦) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤١٥-٤١٦ .

(٧) مدينة أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان (ياقوت : معجم جـ ١ ص ١٤٥) .

(٨) دنلوب : المرجع السابق ص ١١٦ .

(٩) دحلان : الفتوحات جـ ١ ص ١٧٣ .

(١٠) اليعقوبى : البلدان جـ ٢ ص ٣٨١ .

من أعظم معارك بلدان المشرق الإسلامى ، وعسكر القائد سعيد بن عمرو الجرشى بمدينة باجروان داخل أرض الخزر بالقوقاز[١] .

وواصل القائد العربى سعيد بن عمرو الجرشى فتوحاته فى بلدان قزوين والقوقاز ؛ فاستولى على مدينة ميمذ[٢] ؛ وأراد التوغل داخل أراضى القوقاز ، فإذا برسالة تأتى إليه من مسلمة بن عبد الملك يلومه على الاندفاع داخل هذه الأراضى بدون إذنه ، وبدله بقائد آخر يسمى عبد الملك بن مسلم العقيلى ؛ ثم وضع مسلمة القائد سعيد بالسجن بمدينة برذعة ، ويتهمه بعدم الطاعة للأوامر ؛ بل تعدى الأمر إلى ضربه وتعذيبه داخل سجنه[٣] .

تقدم مسلمة بن عبد الملك لمواصلة الجهاد الإسلامى بالقوقاز ، فاندفع وراء مدينة دربند وسيطر على عدة قرى ، برغم حلول موسم الشتاء والثلوج ؛ ووضع أميراً مسلماً على هذه القرى[٤] ؛ وكان ذلك فى سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ م ؛ ويقال أن مسلمة اشتبك فى معركة فى نفس العام مع الخزر واستطاع قتل ابن الخاقان ، وبنى مدينة الباب[٥] ؛ وغضب الخليفة هشام عندما سمع بهذه الحملة الشتوية ؛ وأعرب عن غضبه من سجن القائد سعيد بن عمرو الجرشى وأمره بالعفو عنه فوراً وقال لأخيه فى رسالة أبياتاً من الشعر منها :

أتتركهم بميمذ قد تراهم وتطلبهم بمنطقع التراب[٦] ؟

وأخرج مسلمة القائد سعيد من سجنه وكرمه وقدم إليه اعتذاره ، وأقطعه اقطاعات واسعة باذربيجان[٧] ؛ وتوجه مسلمة بن عبد الملك بحملة إلى شمال القوقاز واستطاع أن يسيطر على مدينة خيزان ؛ ثم مدينة حمزين ، ثم سمندر ؛ ولكنه بعد هذه المدينة رأى جموع الخزر قد اجتمعت بكامل عدتها وعددها وقد استعدت لمعركة فاصلة مع المسلمين ؛ ولذلك انسحب مسلمة وتحصن بمدينة درنبد وكان ذلك فى سنة ١١٤ هـ / ٧٣٣ م[٨] .

(١) دنلوب : المرجع السابق ص ١١٧ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٠٦-٣٠٧ .
(٤) ابن كثير : المصدر السابق جـ ٩ ص ٣٤٢ .
(٥) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٥ .
(٦) البلاذرى : المصدر السابق ص ٢٠٩ .
(٧) دنلوب : المرجع السابق ص ١١٧ .
(٨) نفس المرجع ص ١١٨ .

وعلى أثر ذلك تقدم جيش الخزر فى العدد الهائل وعلى رأسه الخاقان العظيم ، واستولوا على كل المدن والحصون التى تركها مسلمة بن عبد الملك ، حتى وصلوا مدينة دربند التي بها المسلمون ، وكانوا على أهبة الاستعداد للقاء الخزر ، فخرج المسلمون بجيشهم وعلى رأسه مسلمة بن عبد الملك ، ومحمد بن مروان ، وسلمان بن هشام والعباس بن الوليد ؛ ونشب القتال بين الفريقين بالقرب من دربند ، وانتصر المسلمون ؛ وتمكن أحد مقاتلى المسلمين من قطع رأس الخاقان ، وارسلت إلى دمشق فى سنة ١١٤ هـ / ٧٣٣ م[١] .

وأعاد مسلمة تنظيم المدينة ، وصبغها بالصبغة الإسلامية ، وأسكن كل قبيلة عربية خطة خاصة بها ، فكان بها حى لأهل الكوفة ، وحى لأهل دمشق ، وحى لأهل الجزيرة وأهل حمص ؛ ونظم أهراء القمح والحبوب ، ومخازن السلاح وجرى تعيين وال عليها[٢]، وأعاد تحصينات المدينة ، وبنى بوابة حديدية على مدخلها ، وبعد أن أطمئن مسلمة على أوضاع المسلمين فيها ، عين عليها مروان بن محمد ، وذهب مسلمة بن عبد الملك إلى دمشق سنة ١١٤ هـ / ٧٣٣ م[٣] .

ونأتى لدور عظيم من أدوار القادة العرب ، ألا وهو دور القائد مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية بعد ذلك ؛ وفور توليه جهز حملة من أربعين ألف مقاتل مسلم ؛ وتوجه شمال القوقاز فى الشتاء واشتبك مع الجزر وانتصر عليهم فى وقعة الطين وسميت بذلك لكثرة الأمطار والوصول بأرض المعركة[٤] . ولمكن الخليفة هشام استدعى مروان إلى مدينة آمد ، وولى مكانه القائد سعيد بن عمرو الجرشى على مدينة الباب[٥] ؛ ثم ولى هشام مروان بن محمد على أرمينيا والجزيرة وأذربيجان[٦] .

وخلال صراع المسلمين والخزر ، أقام البيزنطيون حلفاً سياسياً مع الخزر ، تمثلاً فى صورة زواج حيث أقدم الأمبراطور ليو الايسورى (٧١٧ - ٧٤١ م) على اختيار أميرة

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٢١٦ .
(٢) دنلوب : المرجع السابق ص ١٢٢ .
(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ٧ ص ٩٠ .
(٤) ابن اعثم : الفتوحات جـ ٨ ص ٧٠ .
(٥) دنلوب : المرجع السابق ص ١٢٣ .
(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٩٠ .

خزرية زوجة لإبنه قسطنطين الخامس ؛ واتحد الفريقان ضد المسلمين[١] ؛ وهاجم الخزر مدينة الباب ، ودافع عنها المسلمون حتى أن القائد سعيد بن عمرو فقد بصره أثناء الدفاع عن المدينة ؛ فأضاف الخليفة هشام ولاية الباب إلى مروان بن محمد[٢] ؛ وطلب مروان من الخليفة مائة وعشرين ألف مقاتل حتى يضع حداً فاصلاً للمعارك مع الخزر ؛ وأعطاه الخليفة ما طلب ؛ ونقل مروان مقر ولايته إلى مدينة كاك حتى يكون مواجهاً للخزر وذلك سنة ١١٧ هـ / ٧٣٦ م[٣] .

وفى سنة ١١٩ هـ / ٧٣٧ م زحف مروان بن محمد على بلاد اللان شمال القوقاز ، واستولى على ثلاثة حصون منها ؛ وجمع مروان المتطوعين من المسلمين لقتال الخزر ، من قزوين ومدينة ديوان ، حتى زاد عدد جيشه عن مائة وخمسين ألف مقاتل ، وزحف نحو الخزر من ممر داريل ؛ وكون جيشاً آخر اسند قيادته لأبى يزيد اسيد بن ظاهر السلمى ، وزحف بطريق آخر ، وأمره أن يلتقيا عند مدينة سمندر ، واجتمع الجيشان هناك ؛ وحدث عرض للقوات الإسلامية بظاهر مدينة سمندر ؛ وكانت هذه القوات موشحة بالبياض شعار الأمويين[٤] .

وفى أثناء ذلك وصل رسول خزرى إلى معسكر المسلمين طالباً التفاوض مع المسلمين ، ولكن مروان رفض التفاوض وطرد رسول الخزر ، وأعلن الحرب عليهم[٥] ؛ ورجع هذا الرسول وأبلغ حاكم الخزر باعلان الحرب عليه من جانب المسلمين[٦] ؛ فأنسحب الخزر إلى شمال القوقاز ، وتركوا عاصمتهم مدينة البيضاء للمسلمين وهو هدف المسلمين الذين يسعون من أجله[٧] ؛ وواصل الخزر انسحابهم شمالاً نحو جبال أورالس (warls)[٨] ؛ وتوغل مروان وجيشه ورائهم ؛ حتى نهر الفولجا وكان يسكن هذه المنطقة

(١) Bury : History of the Eastern Roman Empire p. 407.

(٢) ابن فضلان : رحلته ص ٢٩٦ .

(٣) مدينة كاك : قال عنها البلاذرى كال ، والبلعمى كسال ، وابن اعثم ذكرها كاك وتقع بجوار مدينة برذعة (دنلوب : المرجع السابق ص ١٢٣) .

(٤) الذهبى : دول الإسلام جـ ١ ص ٨٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ٩١ .

(٦) البلاذرى : فتوح ص ٢٠٨ .

(٧) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٢٦

(٨) دنلوب : المرجع السابق ص ١٢٥ .

شعبان هما البرطاس والبلغار ، وكانا يساعدان الخزر ضد المسلمين ؛ فاستولى المسلمون على البرطاس ووضع مروان عليهم والياً مسلماً ؛ ولكنهم ثاروا وقتلوا الوالى المسلم ، فرجع لهم مروان واعدم ثوارهم ، ورجعوا مرة أخرى تحت طاعة المسلمين[١] ؛ وأغار مروان على الصقالبة وسبى الكثير منهم لأنهم كانوا تابعين للخزر[٢] .

وأيضاً فى سنة ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، أرسل خاقان الخزر جيشاً كبيراً لقتال المسلمين ، وعلى رأسه القائد هزار طرخان ، وكان ذلك على الشاطئ الآخر لنهر الفولفا (نهر الصقالية) وكان عدد الجيش الخزرى أربعين ألف جندى[٣] ؛ فعهد مروان إلى أحد قادته بالتصدى لهذا الجيش وهو كوثر بن الأسود العنبرى، وذلك بعبور النهر والاشتباك معهم ؛ وعبر جيش المسلمين نهر الفولفا ؛ وتمكن القائد العربى كوثر من قتل مجموعة من الصيادين الخزر ؛ ثم اشتبك مع جيش الخزر وانتصر عليهم ، وقتل عشرة آلاف منهم ، وأسر سبعة آلاف أسير ، وهرب الباقون إلى الأودية والجبال ؛ ثم علم كوثر من الأسرى الخزر أنه قتل قائدهم هزار طرخان حيث كان ضمن مجموعة الصيادين بالنهر ؛ وأطلق على هذه المعركة « السابحة » ؛ أضف إلى ذلك أن مروان بن محمد اشتبك مع الخزر فى عدة معارك على الشاطئ الآخر لنهر الفولجا وانتصر عليهم ، وضع المسلمون رؤوس الخزر على أسنة الرماح ؛ وهنا أصبحت منطقة قزوين والقوقاز تحت راية الإسلام[٤] .

وعندئذ ايقن خاقان الخزر أنه لا فائدة من قتال العرب المسلمين ، فطلب الصلح مع المسلمين ، ولكن مروان بن محمد عرض عليه الإسلام أو السيف ، فوافق الخاقان على الدخول فى الإسلام ؛ وطلب من مروان إرسال الرجال المسلمين ليعلموهم شرائع الإسلام ، وأعلن الخاقان إسلامه ؛ وذهب إليه وفد من المسلمين لتعليمهم الدين الإسلامى على رأس هذا الوفد نوح بن السائب الأسدى ، وعبد الرحمن الخولانى[٥] ، وعين المسلمون الخاقان مشرفاً على بلاده ؛ واعتقوا الأسرى الخزر الذين أعلنوا إسلامهم ، وأعادوهم لبلادهم .

---

(١) البلاذرى : فتوح ص ٣٠٨ .

(٢) البلاذرى : نفس المصدر ص ٢١١ .

(٣) ابن فضلان : رحلة ابن فضلان ص ٣٠٠ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣١٦ .

(٥) ابن اعثم : المصدر السابق جـ ٨ ص ٧٣-٧٤ .

وفى سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م تقدم القائد مروان بن محمد وغزا بلاد وشعوب الآفار وبلاد السرير وأهل قومان ، وأرمن ذو بكران ، واللكز وشيروان وكلها تجاور القوقاز من الشمال[١] ؛ ورفرفت راية الإسلام خفاقة على هذه المناطق ؛ واعتنق أهلها الإسلام الحنيف وأعجبوا به ، فسرعان ما صاروا من جملة المسلمين الذين ساهموا فى بناء صرح الحضارة الإسلامية ؛ منذ دخول العرب المسلمين بلادهم خلال القرن الأول الهجرى ، وحتى فترات التاريخ الإسلامى التى تلت هذه الفترة ؛ ونجد أن المصادر التاريخية العربية قد صمتت عن ذكر أحوال هذه المناطق ، وذلك لسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م .

وأخيراً نستنتج أن العرب المسلمين قاموا بدور فعال منذ خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وخاضوا أعتى المعارك مع مختلف الشعوب ببلدان قزوين والقوقاز ؛ وكانوا يسيطرون على المدن والقرى وسرعان ما يعلمون أهلها تعاليم الإسلام الحنيف ؛ فوصل الإسلام إلى قلوب الناس وعشقوه ؛ ونرى مجموعات كبيرة منهم أصبحوا علماء مسلمين أجلاء فى مختلف العلوم الدينية والدنيوية ، بعدما تعلموا فى المساجد التى أنشأها العرب فى بلادهم ؛ وامتلأت المصادر التاريخية الإسلامية بأسماء هؤلاء العلماء ؛ وأظهرت دورهم الحضارى العظيم فى كافة بلدان العالم الإسلامى ؛ والجدير بالذكر أن هذه المناطق مازالت إلى يومنا هذا تمثل صورة بيضاء للإسلام ببلدان المشرق ووسط آسيا ؛ وأيضاً تعتبر بصمة عظيمة من بصمات المسلمين الأوائل ، منذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان .

(١) نفس المصدر جـ ٨ ص ٧٥-٨٢ ؛ واصطلح المؤرخون المحدثون على تسمية الفترة (١٠٣ - ١١٩ هـ / ٧٢٢ - ٧٣٧ م) بالحرب العربية الخزرية الثانية ؛ ونجد خلال عصرنا هذا عدد المسلمين فى منطقة القوقاز بلغ أكثر من عشرين مليون نسمة . أنظر (عبد الرحمن زكى : المسلمون فى العالم اليوم ص ٩٩) .

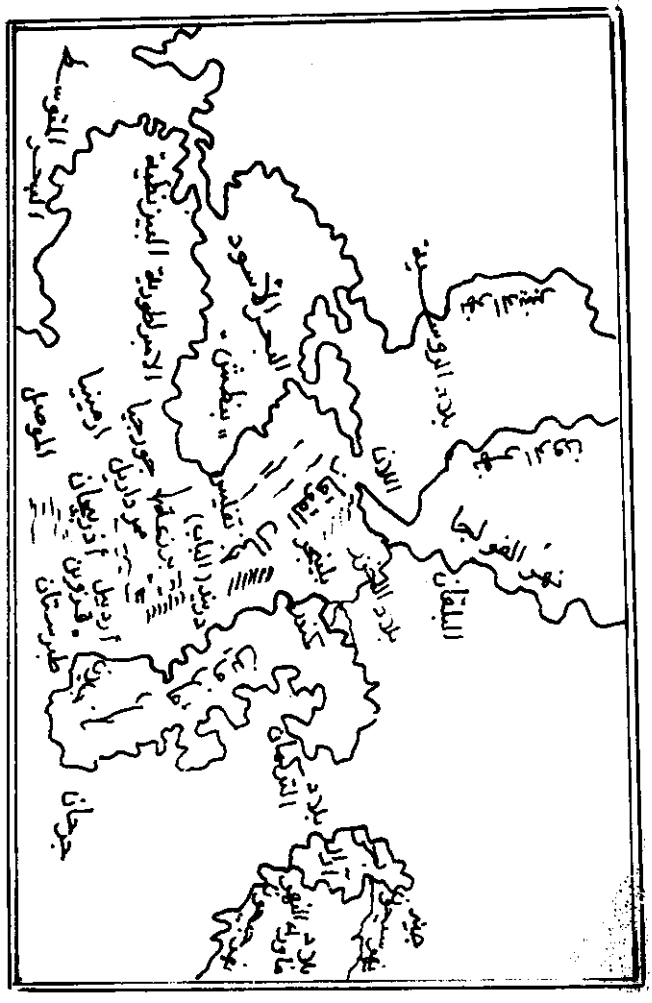

خريطة توضيحية لبلاد قزوين ، وبلاد جبال القوقاز

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والفارسية :

(١) ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن على بن أبى الكرم (الكامل فى التاريخ) (طبعة بيروت ١٩٦٧ م)

(٢) الأزدى : (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) أبو زكريا محمد بن إياس - تاريخ الموصل - تحقيق على حبيبة (طبعة القاهرة ١٩٦٧ م) .

(٣) ابن اعثم : (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) أبو محمد أحمد الكوفى - كتاب الفتوح (طبعة أولى - بيروت) .

(٤) البحترى : (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى - ديوان البحترى - تحقيق حسن كامل الصيرفى (طبعة ثالثة - القاهرة - بدون تاريخ) .

(٥) البلاذرى : (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر - فتوح البلدان (طبعة بيروت ١٩٧٨ م) .

(٦) ابن حجر : (ت ٨٥٣ هـ - ٤٤٩ م) شهاب الدين بن على العسقلانى - الإصابة فى معرفة الصحابة (طبعة القاهرة الأولى) .

(٧) ابن حوقل : (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) أبو القاسم أحمد العقبى - المسالك والمالك (طبعة ليدن ١٨٧٣ م) .

(٨) ..... : صورة الأرض (١٩٦٧ م) .

(٩) ابن خرداذبة : (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) أبو القاسم بن عبد الله - المسالك والممالك (بريل ١٨٨٩ م) .

(١٠) ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد المغربى - العبر وديوان المبتدأ والخبر (طبعة يروت ١٩٨٣ م) .

(١١) ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم - وفيات الأعيان وأبناء الزمان (ط القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

(١٢) الدينورى : (ت ٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م) أبو حنيفة أحمد بن داود - الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر (طبعة القاهرة ١٩٥٩ م) .

(١٣) الذهبى : (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) شمس الدين محمد بن أحمد - دول الإسلام - تحقيق فهيم شلتوت (القاهرة ١٩٧٤ م) .

(١٤) ابن سعد : (ت ٣٣٠ هـ / ٨٤٥ م) محمد بن سعد - الطبقات الكبرى (القاهرة ١٩٦٨) .

(١٥) السيوطى : (ت ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد - تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٧٥ (طبعة بيروت) .

(١٦) . . . . . : طبقات المفسرين .

(١٧) ابن رسته : (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م) أبو على أحمد بن عمر - الأعلاق النفيسة (ليدن ١٩=٨٩١ م) .

(١٨) الطبرى : (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ١٩٨٠) .

(١٩) ابن عبد ربه : (ت ٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م) أحمد بن محمد - العقد الفريد (القاهرة ١٩٦٩ م) .

(٢٠) ابن فضلان : (ت ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م) أحمد بن العباس راشد بن حماد - رسالة ابن فضلان - تحقيق سامى الدهان (بيروت ١٩٨٧) .

(٢١) ابن الفقيه : (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م) أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى - مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢ هـ) .

(٢٢) ابن قتيبة : (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) أبو محمد عبد الله بن مسلم - المعارف - تحقيق ثروت عكاشه (طبعة ثانية القاهرة) .

(٢٣) القزوينى : (ت ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م) زكريا بن محمد بن محمود - آثار البلاد وأخبار العباد (طبعة بيروت بدون تاريخ) .

(٢٤) قزوينى : (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) حمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر - مستوفى تاريخ كذيدة (لندن ١٩١٠ م) .

(٢٥) القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على - صبح الأعشى فى صناعة الانشا (طبعة القاهرة ١٩١٩ م) .

(٢٦) ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) أبو الفدا اسماعيل بن عمر الحافظ - البداية والنهاية (طبعة أولى القاهرة ١٩٣٣ م) .

(٢٧) الكرديزى : (عاش خلال القرن الخامس الهجرى) أبو سعيد عبد الحى - زين الأخبار - ترجمة عفاف السيد (القاهرة ١٩٨٢ م) .

(٢٨) أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ - ١٤٧١ م) جمال الدين يوسف بن تقرى بدوى - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (القاهرة ١٩٧٣ م) .

(٢٩) المسعودى : (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م) أبو الحسن على بن الحسن بن على - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٦) .

(٣٠) . . . . . : التنبيه والأشراف (القاهرة بدون تاريخ) .

(٣١) المقدسى : (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م) شمس الدين بن عبد الله بن محمد البشارى - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٩ م) .

(٣٢) المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على - التاريخ الكبير المقفى (طبعة بيروت ١٩٩١ م) .

(٣٣) ابن منظور : (ت ٧١١ هـ / ١٣٠٣ م) جمال الدين محمد بن مكرم - لسان العرب (دار المعارف مصر)

(٣٤) النويرى : (ت ٧٣٣ هـ - ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب - نهاية الأرب فى معرفة فنون الأدب - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون (طبعة القاهرة ١٩٧٥ -- ١٩٨٤) .

(٣٥) ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى - معجم البلدان - خمسة أجزاء (طبعة بيروت بدون تاريخ) .

(٣٦) اليعقوبى : (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) أحمد بن يعقوب بن واضح - تاريخ اليعقوبى (طبعة بيروت) .

(٣٧) . . . . . : كتاب البلدان (ليدن ١٨٩١ م) .

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة :

(٣٨) إبراهيم العدوى : (دكتور) تاريخ العالم الإسلامى (طبعة القاهرة ١٩٨٢) .

(٣٩) أحمد شلبى : (دكتور) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الرسلامية (القاهرة ١٩٧٨) .

(٤٠) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - ترجمة حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٨) .

(٤١) بطرسوفشكى : الإسلام فى إيران - ترجمة السباعى محمد السباعى (القاهرة ١٩٩٣) .

(٤٢) حسن أحمد محمود : (دكتور) الإسلام والحضارة الإسلامية فى اسيا الوسطى (القاهرة ١٩٦٨) .

(٤٣) د. م. دنلوب : تاريخ يهود الخزر - ترجمة سهيل ذكار (القاهرة ١٩٨٧) .

(٤٤) دحلان : الفتوحات الإسلامية - جزءان فى مجلد واحد (مصر ١٣٢٣ هـ) .

(٤٥) راضى عبد الله عبد الحليم : دراسات فى تاريخ إيران (القاهرة ١٩٨٧ م) .

(٤٦) زبيدة محمد عطا : (دكتور) الترك فى العصور الوسطى (دار الفكر) .

(٤٧) سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور) أوربا العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٥) .

(٤٨) السيد الباز العرينى : (دكتور) الدولة البيزنطية (بيروت ١٩٨٢) .

(٤٩) السيد عبد العزيز سالم : (دكتور) تاريخ الدولة العربية (القاهرة أولى) .

(٥٠) عد الرحمن زكى : المسلمون فى العالم (القاهرة ١٩٥٨) .

(٥١) عبد المنعم ماجد : (دكتور) التاريخ السياسى للدولة العربية (القاهرة ط أولى) .

(٥٢) . . . . . : الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى (دار الفكر) .

(٥٣) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية (القاهرة ١٩٦٦ م) .

(٥٤) محمد جمال الدين سرور : (دكتور) تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق (القاهرة ١٩٧٦) .

(٥٥) . . . . . : الحياة السياسية فى الدولة الإسلامية (القاهرة ١٩٧٩) .

(٥٦) محمد طه أبو العلا : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى (سابقاً) (القاهرة ١٩٩٣ م) .

(٥٧) محمد عبد الشافى محمد : مملكة الخزر وعلاقاتها بالبيزنطيين والمسلمين - رسالة ماجستير غير منشورة بآداب سوهاج (١٩٩١) .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

(58) Bury (S.B) : A history of the Eastern Roman Empire (London, 1912).

(59) Glubb (S.J.) : the Empire of the Arabs (London 1963).

(60) Koestler (A) : The thirtenth tribe the khazar Empire and its Hertage (London 1976).

(61) Lewis (A.R) : Naval power and trade in the Mediterranean A.D 500-1100 (New Jerssy 1951).

(62) Osterogorsky (G) : History of the Bazantine state (Oxford 1927).

(63) Nasiliev (A.A) : A History of the Bazantine Empire - Vol. 1. (Madson 1958).